بسم الله الرحمن الرحيم

إن كثيراً من المفاهيم في الإسلام، قد أصابها الالتباس والضعف في نفوس المسلمين، وانحرف فهم الكثيرين منهم لها، ومنها قضية (مفهوم الشهادتين)؛ مع أنها قضية يدور عليها الإسلام، وتجلية المعنى الحقيقي للمسلمين أمرٌ ضروري، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيي عن بينة.

إن هاتين الشهادتين هما المدخل الذي يدخل منه الإنسان إلى الإسلام، ليستا مجرد كلمتين تقالان باللسان، بل هما منهج حياة كاملة؛ ولذلك فإن العرب الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقفوا من دعوته ذلك الموقف، لمعرفتهم بما تنطوي عليه هاتان الشهادتان من تغيير كامل لحياتهم الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وغيرها. وقد ثبت في الصحاح أنه صلى الله عليه وسلم كان يدور على القبائل في المواسم، في عكاظ ومجنة وذي المجاز ومنى، فيعرض عليهم نفسه ويقول: ((مَنْ يُؤْوِينِي وَيَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ. وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تُفلِحُوا وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ((رَبِيعَةُ بْنُ عِبَادٍ)) فَقَالُوا لِي: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ.

وكان موقف قريش عنيفاً من النبي صلى الله عليه وسلم، لمعرفتهم بالمدلول الحقيقي لهذه الكلمة؛ إذ يدركون أنها ليست مجرد كلمة؛ وكم يحز في النفس أن كثيراً من المنتسبين إلى الإسلام اليوم لا يدركون من معنى هذه الكلمة ما أدركه كفار قريش الأوائل!

لما مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ أَتَتْهُ قُرَيْشٌ وَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ وَعِنْدَ رَأْسِهِ مِقْعَدُ رَجُلٍ فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ فَقَعَدَ فِيهِ. فَقَالُوا إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَقَعُ فِي آلِهَتِنَا. قَالَ: مَا شَأْنُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ؟ قَالَ: يَا عَمِّ أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ. فقالوا: نعم وأبيك وألف كلمة، فَمَا هِيَ؟ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ. فَقَامُوا فَقَالُوا:{أجعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } [ص:5] قَالَ وَنزل {ص وَالْقُرْآن}

ولفضل هاتين الكلمتين شأن عظيم في الإسلام، فقد نوه الرسول صلى الله عليه وسلم بمكانتهما وفضلهما، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ)، (إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ)، (مَنْ قالَ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهِ، وَكَفَرَ بِما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى).

العاصم لدم المسلم وماله في الدنيا، والذي يحقق له السعادة في الآخرة، هو نطقه بهاتين الكلمتين؛ مؤمناً بهما، عالماً بما دلتا عليه من الإخلاص والتوحيد، عاملاً بمقتضاهما، مخلصاً من قلبه، فحينئذٍ يحرم على النار، ويدخل الجنة، ويسلم له ماله، ونفسه، وأهله في هذه الدار.

لا إله إلا الله: كلمة لم يكن صلى الله عليه وسلم هو أول من دعا إليها؛ بل قد دعا إليها قبله جميع الأنبياء والمرسلين، يقول سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:25] ويقول على لسان كثير من أنبيائه:{اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف:59].

فعقيدة التوحيد هي ما جاءوا به جميعاً لم تتغير بين نبيٍ وآخر.

الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله يتضمن أموراً عديدة:

-الإقرار بوجود الله: فإن الإنسان لم يشهد بألوهية الله وحده إلا وقد أقر قبل ذلك بوجوده سبحانه، ولم تكن مشكلة الأنبياء مع قومهم الاعتراف بوجود الله؛ لا نجد نبياً من الأنبياء كانت مشكلته مع قومه أنه يدعوهم إلى الإيمان بوجود الله وهم منكرون! بل إن الكفار والمشركين يعترفون بوجود الله؛ من حيث أصل الوجود.

فمجرد الإيمان بوجود الله، وإن كان لازماً من لوازم شهادة أن لا إله إلا الله؛ إلا أنه ليس هو المعنى الذي أراده الأنبياء والمرسلون.

إنما دعوهم إلى لازم الإيمان بوجود الله: هو الاعتراف بربوبية الله جل وعلا: بأنه الرب، ومعنى الرب: أي المتصرف في الأكوان؛ فهو الذي يخلق ويرزق ويحيي ويميت، وهو الذي يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل، ويصرف الأقدار، أن يعرفوا هذا الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله

ومن ثم إفراده تعالى بالعبادة، وتوجيه جميع أعمال الإنسان ونشاطاته إلى الله عز وجل.

والإله هو: المعبود الذي تطمئن وتسكن إليه النفس، فتتوجه إليه بالعبادة؛ وهذا هو موضع الخصومة بين الأنبياء وأممهم.

فالكفار كانوا يعترفون بربوبية الله، ويعترفون بوجوده، لكنهم يصرفون العبادات إلى غيره. فلما قال لهم صلى الله عليه وسلم: قولوا لا إله إلا الله، ومراده{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[الأعراف:59].اتركوا كل آلهة، تتقربون إليها بألوان العبادة؛ واصرفوا صلاتكم ونسككم وحجكم ومحياكم ومماتكم لله، كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ }[الأنعام:162-163]،فكفروا!!

إذاً معنى لا إله إلا الله: أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده؛ فهي كما يقول العلماء: فيها نفي وإثبات؛ تنفي العبادة عن جميع المعبودات، وتثبت العبادة لله سبحانه وتعالى وحده بلا شريك، فهي إيمان بالله، وكفرٌ بالطاغوت: { أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[النحل:36]

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فالعروة الوثقى هي: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. والناظر في واقع المسلمين اليوم؛ يجد أنهم وقعوا في ألوان من الشرك، منه ما هو شرك أكبر مناف لأصل هذه الكلمة وحقيقتها، ومنه ما هو دون ذلك مما ينافي كمال الإيمان والتوحيد.

-**الشرك الظاهر:** توجيه العبادة لغير الله؛ سواء بالصلاة، أو الدعاء، أو النذر، أو الذبح، أو بالحب والخوف والرجاء وغيرها للأنبياء، أو الأولياء، أو الصالحين، وأنت تجد في كثير من بلاد المسلمين قبور وأضرحة يطاف بها وينذر لها، ويتقرب إليها؛ بل ويصلى إليها!

-**الشرك في التشريع:** إن الله تعالى قد نص في كتابه على أن التشريع والدين، إنما يُتَلَقَّى من عنده فقال سبحانه:{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى:21] فالدين والشرع لا يؤخذ إلا عن الله، والتحليل والتحريم لا يؤخذ إلا عن الله وعن رسوله.

وللأسف كثير من المسلمين لم يحققوا هذا المعنى، ولم يحققوا معنى الكفر بالطاغوت؛ بل أصبحوا يتلقون نظمهم وتشريعاتهم، وقوانينهم، وأنماط سلوكهم عن الكفار، فلا حَكَم إلا الله وله الحكم، ولا يجوز أخذ الأنظمة والشرائع والقوانين إلا منه سبحانه.

-**الغلو في محبة غير الله:** محبة غير الله محبة لا تليق إلا بالله قد تكون محبة للمال -مثلاً- تجعل الإنسان يضحي في سبيل المال بكل شيء، والإنسان الذي يضحي في سبيل جمع المال بكل غال ونفيس، ويتعب، ويواصل سهر الليل بسهر النهار، ويذهب إلى أقاصي الدنيا، ثم يكون بيته إلى جوار المسجد -مثلاً- فيسمع المؤذن ينادي: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، فلا يستجيب لهذا النداء، ولا يؤدي الصلاة، ويسمع هذا النداء المكرر عليه، مع سهولة الاستجابة فلا يستجيب؛ فمثل هذا لا يمكن أن نقول: إنه عالم بمعنى لا إله إلا الله، أو محقق لها بوجه من الوجوه، بل هو يعبد -في حقيقته- الدرهم والدينار.

ولذلك قال سبحانه وتعالى:{وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} من هم الكافرون؟

{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ}[إبراهيم:2-3]، وعن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ)) يدعو عليه بالتعاسة، ويسميه عبداً، عبداً: للدينار.. للدرهم.. للقطيفة.. للخميلة.. للخميصة، كم في المسلمين من أصبح عبدا للمال؟ إذا أصيب بدينه لم يبال، فإذا أصيب بهذا المال؛ جن جنونه، بل منهم من يموت على أثر انتكاسةٍ مالية تنـزل به!

فتعلق القلب بغير الله هو نوع من توجه القلب لغير الله عز وجل، وهو في الناس اليوم كثير!

هذا المعنى الحق المتعلق بـلا إله إلا الله؛ توجه القلب، واللسان والجوارح لله عز وجل بكليته، فلا يمكن أن ينطق الإنسان بلسانه، وقلبه خاوٍ؛ لأنه حينئذٍ يكون منافقاً، ولا يمكن أن يكتفي الإنسان بإقرار القلب، فمجرد دعوى أن الإيمان في القلب لا يكفي، والذين يقولون: ربك رب القلوب، والتقوى هاهنا، مخطئون في ذلك، بالمعنى الذي يقصدونه، وإن كانت الكلمة في أصلها صحيحة، لكنها كلمة حق أريد بها باطل، فلابد مع إيمان القلب من نطق اللسان، ولا بد مع نطق اللسان من توجه الجوارح بالعمل لتحقيق معنى ومدلول لا إله إلا الله..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين